

منهج التتميط فى الدراسات القرآنية دراسة نقدية

منهج التتميط فى الدراسات القرآنية

دراسة نقدية

د. عماد حسن مرزوق

مدرس الدراسات الإسلامية

كلية الآداب - جامعة المنوفية

نشأ منهج التتميط Typology ابتداء فى كنف الكتاب المقدس باعتباره أحد مناهج التفسير، وقد تمت الاستفادة منه - فيما بعد- فى مجالات العلوم الإنسانية المختلفة كعلم الاجتماع وعلم النفس والنقد الأدبى.

وبالرغم من الاختلافات الجوهرية بين طبيعة الكتاب المقدس والقرآن الكريم، فقد استخدم منهج التتميط فى بعض الدراسات القرآنية.

ويهدف البحث إلى عرض منهج التتميط أو (التيبولوجيا) ومناقشة تطبيقاته فى الدراسات القرآنية، وذلك من خلال أربعة مباحث :

المبحث الأول - نشأة منهج التتميط وتطوره .

المبحث الثانى - تطبيقات منهج التتميط فى الدراسات القرآنية .

المبحث الثالث - الملاحظات النقدية على الدراسات التتميطية للقرآن الكريم .

المبحث الرابع - (السياقات المتشابهة) بديلا عن منهج التتميط.

(١)

من بين مناهج تفسير الكتاب المقدس كالتفسير الرمزي أو التأويلي المنسوب إلى مدرسة الإسكندرية، والتفسير الحرفي التاريخي المنسوب إلى مدرسة أنطاكية، يبرز منهج التتميط Typology^١ واحداً من أهم المناهج الرئيسية في التفسير^٢.

ترجع الجذور الأولى لمنهج التتميط في التفسير إلى بعض الإشارات التي وردت في رسائل بولس الرسول (توفى حوالي ٦٧ م)، حيث جعل من بعض شخصيات العهد القديم وأحداثه نموذجاً أو مثالا لشخصية المسيح عليه السلام، فآدم عليه السلام قبل الوقوع في الخطية في العهد القديم هو نمط أو طراز للمسيح عليه السلام، يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية "لَكِنَّ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ نَعْدِي آدَمَ، الَّذِي هُوَ مِثَالُ الْآتِي"^٣.

ويفسر بولس عمود السحاب الذي أظل بنى إسرائيل في الخروج، والذي ورد في هذا النص من العهد القديم: "وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لَكِنِّي يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلًا لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلًا مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ"^٤، يفسر بولس عمود السحاب بأنه - المسيح عليه السلام -، يقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعَهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ، وَجَمِيعَهُمْ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمْ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، وَجَمِيعَهُمْ شَرَبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعْتَهُمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ، لَكِنَّ بِأَكْثَرِهِمْ لَمْ يُسَرِّ اللَّهُ، لِأَنَّهُمْ طَرَحُوا فِي الْقَفْرِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ حَدَّثَتْ مِثَالًا لَنَا، حَتَّى لَا نَكُونَ

١ - تتكون كلمة Typology من مقطعين يقصد بالأول منهما النمط أو النموذج أو المثال، والثاني يقصد به العلم.

٢ - للاستزادة حول مناهج تفسير الكتاب المقدس انظر: تفسير الكتاب المقدس في أبعاده المتعددة: غرانت ر. أوزبورن، ترجمة نزيه خاطر، دار منهل الحياة، لبنان، ط١، ٢٠١٤ م.

٣ - رسالة رومية ٥ : ١٤

٤ - سفر الخروج ١٣ : ٢٠-٢١

منهج التتميط فى الدراسات القرآنية دراسة نقدية

نَحْنُ مُشْتَهَيْنَ شُرُورًا كَمَا اسْتَهَى أَوْلَيْكَ^٥ ، فبولس يجعل عمود سحاب الخروج، والبحر مثالا للمعمودية المسيحية حيث يلتقى عنصر المعمودية : الروح القدس متمثلا فى عمود السحاب بالماء متمثلا فى البحر .

وفى النص السابق من رسالة بولس تتميط آخر فسر به بولس صخرة حوريب التى جاء ذكرها فى هذا النص من العهد القديم : " هَا أَنَا أَفِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ فَفَعَلَ مُوسَى هَكَذَا أَمَامَ عِيُونِ شَيْوُخِ إِسْرَائِيلَ"^٦ ، فالصخرة عند بولس كما جاء فى رسالته السابقة هى المسيح - عليه السلام - . إن منهج بولس فى تفسير ما ورد فى العهد القديم واستخدامه فى رسالته إلى أهل رومية وأهل كورنثوس كلمة (المثال) كان حجر الأساس لما عرف بالتفسير النمطى (المثالى) أو منهج التتميط فى التفسير Typology.

و" السمة الجوهرية فى هذا التفسير هو Christocentric أى أن المسيح هو مركز كل شىء، فأدم ونوح وموسى هم مجرد أمثلة أو نماذج لآدم الثانى ونوح الجديد وموسى الجديد أى المسيح"^٧ .

أصبح منهج التتميط منهجا مؤثرا فى حقول المعرفة المختلفة، وقد أقر مؤسس علم النفس التحليلى كارل جوستاف يونج Carl Jung (ت ١٩٦١م) أن نظريته عن الطرز الأولية (النماذج البدئية) Archetype ليست من اختراعه بل كان مسبقا إليها منذ القرون المسيحية الأولى^٨ ، ولا شك أن يونج كان يشير بذلك إلى تتميط بولس ومن تبعه من شراح الكتاب المقدس.

وبناء على ذلك المنهج فقد ذهب يونج إلى أن " ارتباطات الرمزية الحديثة بالنظريات والاعتقادات القديمة لا يقوم على الرواية العادية أو النقل المباشر وغير المباشر، ولا حتى

٥ - رسالة كورنثوس الأولى ١٠ : ١-٦

٦ - سفر الخروج ١٧ : ٦

٧ - تفسير الكتاب المقدس عند الآباء : د. جورج عوض إبراهيم، جى سى سنتر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٢م ، ص ٦٥

٨ - الدين فى ضوء علم النفس : كارل جوستاف يونج ، ترجمة وتقديم ، نهاد خياطة ، دار العلم ، مكتب الفيحاء ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص ٦٦

على المسارة كما يفترض غالبا. لم يسفر البحث الدقيق عن احتمال اطلاق المرضى على كتب أو حصولهم على معلومات لها علاقة بهذه الأفكار . وإنما يبدو أن خافيتهم قد عملت على نفس الخط الفكرى الذى ظل يكشف عن نفسه بين حين وآخر ، فى الألفين من السنين الماضية. لا يمكن أن توجد مثل هذه الاستمرارية إلا أن نفترض حالة معينة من الخافية تنتقل بالوراثة البيولوجية . طبعا لا أريد بهذا الافتراض وراثه الصور بما هى كذلك، التى من الصعب بل من المستحيل البرهان عليها. وإنما أتخيل أن الصفة الموروثة لا بد أن تكون شيئا من قبيل إمكانية إعادة توليد نفس الأفكار، أو أفكار مماثلة على الأقل، وقد سميت هذه الإمكانية نموذجا بدئيا Archetype ، وأريد بذلك سابق استعداد عقلى وخصيصة وظيفية فى الدماغ^٩.

وعلى ضوء هذه النظرية رأى يونج أن رمز الصليب المربع هو إعادة إنتاج لرمز الدائرة السحرية المعروفة بالمندلة التى كانت تعبر عن معتقدات خاصة ببعض الديانات الشرقية القديمة، وبالرغم من أن المندلة لم تعد ذات أثر دينى فى العصر الحديث فإن اللاشعور الجمعى وماله من قدرة على متابعة إنتاج النماذج البدئية قد استعادها مرة أخرى فى صورة الصليب^{١٠}.

ولقد كان لنظرية النماذج البدئية تأثير واسع على كثير من الأبحاث والدراسات فى مجالات متعددة، ويذكر نورثروب فرأى Northrop Frye (ت ١٩٩١م) أنه لاحظ فى المجال الأدبى "ثبات وحداته النبوية أى كون بعض الموضوعات أو المواقف أو أنماط الشخصية فى الكوميديا تمثيلا تستمر فى البقاء مع تغير طفيف جدا منذ عصر أرسطوفانيس حتى عصرنا الحاضر، وقد استخدمت لوصف هذه القواطع البنائية مصطلح النموذج البدئى archetype حين كنت أفكر بمعناه التقليدى دون أن أنتبه كيف أن استعمال يونج لهذا المصطلح نفسه قد احتكر الميدان تماما"^{١١}.

^٩ - السابق ص ١١٠ - ١١١

^{١٠} - انظر المحاضرة الثالثة من كتاب الدين فى ضوء علم النفس ليونج بعنوان : (رمز طبيعى : تاريخ وسيكولوجية) ، مرجع سابق ، ص ٨٠ وما بعدها .

^{١١} - المدونة الكبرى الكتاب المقدس والأدب : نورثروب فرأى ، ترجمة سعيد الغانمى ، كلمة و منشورات الجمل ، أبو ظبى و بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩م ص ١٠٥

منهج التتميط فى الدراسات القرآنية دراسة نقدية

وقد أراد فرأى أن يغير من المعنى التقليدى لمفهوم يونج عن النماذج البدئية من خلال هذا التفسير الجديد الذى قدمه عن التتميط فى الكتاب المقدس يقول فرأى " هناك بالإضافة إلى اللسان (langue) الذى يميز الفرنسية عن الإنجليزية والألمانية نظاما لغويا (langage) يجعل بالإمكان التعبير عن أشياء متشابهة فى اللغات الثلاث جميعا. ويصح هذا حتى على الشعر أو الدراما. حين ندخل مسرحا صينيا أو يابانيا نعى فورا حتى حين نكون عديمى المعرفة باللغة أن ما يقدم هو تجربة درامية تشبه شيئا ملحوظا ما نحن على ألفة به . وإذا أخذنا الخطوة التالية وتعلمنا شيئا عن اللغة ، سنكتشف أن هناك حسا مشتركا يمكن ترجمته إلى حد ما، على الرغم من الاختلاف فى الدلالة اللغوية والثقافية، ولسنا بحاجة إلى أن نلتمس كيانات أكثر لطافة مثل مفهوم يونج عن اللاشعور الجمعى لكى نفسر حقيقة أن التعبير الإبداعى الإنسانى فى جميع أرجاء العالم ينطوى على درجة من الفهم المتبادل والقوة التوصيلية"^{١٢}.

تتشابه إذن فكرة التتميط التى قدمها فرأى إلى حد كبير مع ما قدمه يونج مع شيء من الاختلاف فى تفسير منبع التتميط ففى حين ذهب يونج إلى تفسير التتميط من خلال نظرية اللاشعور الجمعى المستمد من النماذج البدئية يذهب فرأى فى تفسير التتميط إلى تأثير النظام اللغوى، حيث اعتمد على نظرية فيكو Vico (ت ١٧٤٤م) التى تذهب إلى أن دورة التاريخ تشتمل على ثلاثة عصور هى العصر الأسطورى أو عصر الآلهة ، والعصر البطولى أو عصر الأرستقراطية، وعصر العامة. ويتلاءم النظام اللغوى مع كل عصر بطريقة خاصة فنجد فى العصر الأول يصبح النظام اللغوى قائما على الاستعارة، وفى العصر الثانى نجد النظام اللغوى يتحول إلى الكناية، بينما نجد فى العصر الثالث نظاما لغويا وصفيا"^{١٣}.

وقد رأى فرأى أن الكتاب المقدس تم تدوينه فى ظل النظام اللغوى الاستعارى ، وبما أن الاستعارة تجعل من المثل typos والممثل antitype شيئا واحدا، فقد أدى ذلك إلى وجود تتميط بين العهد القديم والعهد الجديد بحيث أصبح العهد القديم كالمرآة للعهد الجديد.

^{١٢} - السابق ص ٤١ ، ٤٢

^{١٣} - السابق ص ٤٢ وما بعدها

"وقد تطرق الكتاب المقدس بطبيعة الحال لبعض الوقائع التاريخية، لكنه لم يتناولها كأحداث تاريخية، بل كحكايات ومثولات لمثل نمطية سابقة، ففي ضوء نظريته للتطابق الاستعاري بين المثل والممثل، كان بوسع (نبوخذ نصر) أن ينوب عن (التنين)، وبوسع بابل أن تنوب عن روما (أم الزواني)، وهكذا ما كان ينظر إلى الواقعة التاريخية كواقعة مستقلة في ذاتها ضمن سياقها التاريخي التوثيقي، بل كان ينظر إليها باعتبارها تكرارا لمثل سابق يتماهى بالممثل ويتطابق معه، غير أن هذا التناول نفسه يجعل من الكتاب المقدس مصدرا تاريخيا ضعيفا بالمعنى الحديث لكلمة التاريخ"^{١٤}.

وهكذا فإن منهج التتميط ارتبط ارتباطا مباشرا بالكتاب المقدس سواء من حيث نشأته أو من حيث الدراسات المختلفة التي عملت على تطويره كما رأينا عند يونج وقرای، لهذا لم يكن مستبعدا أن تقوم محاولات جديدة تعتمد على أعمال منهج التتميط في دراسة القرآن الكريم، بشكل مواز لما تم إنجازه في تفسير الكتاب المقدس.

^{١٤} - السابق ص ٩

كان على شريعتى (ت ١٩٧٧م) من أوائل الباحثين المحدثين الذين دعوا إلى استخدام منهج التتميط، لكن استخدامه للمنهج لم يكن فى تفسير القرآن أو ما يخص الدراسات القرآنية بل فى التعرف على الإسلام نفسه يقول شريعتى "هناك منهج آخر لمعرفة الإسلام . هذا المنهج هو العلم عن طريق تصنيف القضايا والمقارنة بينها، وهو ما يعرف فى علم الاجتماع (التيبولوجى) (Typology) وفى سبيل معرفة الإسلام، تمكنت أنا أن أستفيد من هذا المنهج ، الذى يستخدم عادة فى أوروبا، للتحقيق فى بعض العلوم الإنسانية، واستخرجت منها ما يمكن الاعتماد عليه فى معرفة أى دين"^{١٥} ويقوم منهج شريعتى فى التعرف على الدين على جوانب خمسة يجب التعرف عليها فى الدين ومقارنتها بمثلاتها فى الأديان الأخرى ، وهذه الجوانب هى :

أ- الإله أو الآلهة فى كل دين

ب- نبي كل دين

ج- كتاب كل دين

د- كيف ظهر نبي كل دين

هـ- تلامذة كل دين وحواريوه

ولقد لاحظ محمد بو هلال أن منهج التتميط قد استخدم فى التراث الإسلامى المرتبط بالدراسات القرآنية من خلال كتاب جواهر القرآن للغزالي (ت ١١١١م)^{١٦} ، وإذا سلمنا أن الغزالي قد استخدم منهج التتميط فى كتابه فإن هذا التتميط قد اقتصر على تصنيف آيات القرآن الكريم وتقسيمها إلى أنماط مختلفة بحسب موضوعها، وهى الآيات التى تتناول ذكر الذات، وذكر الصفات، وذكر الأفعال، وذكر المعاد، وذكر الصراط المستقيم أى التزكية

^{١٥} - منهج التعرف على الإسلام : د. على شريعتى ، ترجمة عادل كاظم ، دار الأمير ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، ص ١٧

^{١٦} - انظر على سبيل المثال بحث : تيبولوجيا القرآن من خلال جواهر القرآن للغزالي : محمد بو هلال، بحث ألقى فى ملتقى الدراسات القرآنية المناهج والسياقات والرهانات، المنعقد فى المجمع التونسى للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) فى الفترة من ٤ إلى ٦ يوليه ٢٠٠٧م .

والتحلية، وذكر أحوال الأولياء، وذكر أحوال الأعداء، وذكر محاجة الكفار^{١٧}، وذكر حدود الأحكام، ولم يتطرق تصنيف الغزالي إلى استخدام التتميط بالصورة التي رأيناها عند بولس أو يونج أو فراي أو التي سنراها فيما سنعرضه من الدراسات التتميطية المتعلقة بالقرآن الكريم.

ويعد محمد أحمد خلف الله (ت ١٩٨٩م) أول من طبق من خلال كتابه (الفن القصصي في القرآن) ١٨ منهج التتميط على القرآن الكريم بالمعنى المفهوم لتطبيق المنهج في التفسير الكتابي. يقول يوهانس جانسن J.J.G.Jansen : "على الرغم من وجود عدد كبير من الدراسات التي تناولت كتاب خلف الله (الفن القصصي) لم تنتبه هذه الدراسات ، كما يبدو لي إلى أن خلف الله قد استخدم في كتابه منهجية تفسيرية تدعى المنهج الطيبولوجي typology"^{١٩}.

وقد استطاع الدكتور محمد أحمد خلف الله باعتماده على منهج التفسير التيبولوجي أن يرى في صور هود وشعيب ومحاورتهم لأقوامهم الصورة العامة التي تصلح لكل رسول "وهي تصلح للنبي العربي عليه السلام"^{٢٠}، كما ذهب إلى أننا "نستطيع أن نقول إن شخصيات الرجال في القصص القرآني تتميز بالأحداث التاريخية المعروفة ولا تتميز بالصفات الحسية أو الصفات المعنوية من خلق ومزاج، وإنما لو حاولنا فهم ما يعرض لكل منهم من انفعالات نفسية وتأثرات عاطفية فلا بد لنا من فهم الظروف المحيطة بالنبي العربي، والعوامل المؤثرة في الدعوة الإسلامية، إذ هي التي تفصح لنا عن المواقف التي توضح لنا شخصية البطل وتجلى صورته، وهذا هو الذي يتمشى مع القصد العام لهذا اللون من القصص، وهو

^{١٧} - انظر : جواهر القرآن ودرره، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الجيل ، بيروت ، ط٦ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٧

^{١٨} - الفن القصصي في القرآن : د . محمد أحمد خلف الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٧ .

^{١٩} - تفسير القرآن في مصر الحديثة : يوهانس جانسن ، ترجمة وتعليق حازم زكريا محيي الدين ، مؤمنون بلا حدود، المغرب، ط١ ، ٢٠١٧ م، ص ٥٢

^{٢٠} - الفن القصصي في القرآن : د . محمد أحمد خلف الله ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥

منهج الترميط فى الدراسات القرآنية دراسة نقدية

التنفيس وتخفيف الضغط العاطفى، وإنه ليتحقق كل هذا لا بد وأن تتشابه المواقف وتتماثل الظروف"^{٢١}.

و قد ذهب خلف الله اعتمادا على منهجه إلى القول بمخالفة القرآن للتاريخ - وهى النتيجة نفسها التى انتهى إليها فراى فيما يخص الكتاب المقدس- ، اعتمادا على أن القرآن لا يعرض تاريخا وإنما يعرض القصة بمفهومها الفنى الذى يتيح بعض التعبير فى الأحداث التاريخية من أجل تحقيق الغاية من القصة وهذه الغاية فى القرآن الكريم هى الموعظة والعبرة. وقد انتهى إلى أن "القصة التاريخية فى القرآن قصة أدبية يقصد منها غير ما يقصد من التاريخ، وتعرض غير ما يعرض التاريخ، وتثبت غير ما يثبت التاريخ"^{٢٢}.

وقد اتفق يوهانس جانسن مع ما ذهب إليه خلف الله وانتهى إلى أنه "عندما يتحدث القرآن عن الأنبياء الذين جاؤوا قبل الرسول محمد، فإن قصصهم كما جاءت فى القرآن تهدف فى المقام الأول إلى الإشارة بشكل دائم إلى محمد عليه السلام، وما سيحدث معه، ولا تهدف إلى ذكر الأنبياء السابقين إلا فى أضيق الحدود.

فعلى سبيل المثال عندما يخبرنا القرآن كيف كان الناس (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) عندما كانوا يستمعون إلى رسول الله نوح يدعوهم إلى الله تعالى، فإن العرب الذين استمعوا لقصة نوح كما وردت فى القرآن أول مرة سيفكرون كيف استخف بمحمد من قبل قومه أهل مكة . [سورة نوح : ٥-٧] . وعندما يسمع هؤلاء الناس الدعاء الذى دعاه نوح على قومه والذى ورد فى السورة نفسها (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)^{٢٣} فإنهم سيدركون دون شك أن والدى محمد قد ماتا وتبين قبل ظهور الإسلام"^{٢٤}.

٢١ - السابق ص ٢٧٧

٢٢ - السابق ص ١٢٩

٢٣ - نوح : ٢٦-٢٨

٢٤ - تفسير القرآن فى مصر الحديثة : يوهانس جانسن، مرجع سابق، ص ٥٣

وقد قدم الدكتور سيد القمنى سياقات دراسة تنميطية عن قصة طالوت التى وردت فى قوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اأْبَعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)^{٢٥}

وقد رأى القمنى أن الآيات استدعت " واقع مكة لتلحقه بالتاريخ الإسرائيلى فى المثال المضروب، ترحل بالتساؤل المكى القرشى من رجال الملأ، ليصبح تساؤلًا من بنى إسرائيل لصموئيل (أنى يكون له الملك علينا؟)، وهو التساؤل الاستكاري الذى يحمل معانى جديدة، ومواصفات جديدة، يجب أن يتصف بها السيد الزعيم، وهى المعانى والصفات التى حملتها رياح التغيير الاقتصادى إلى مكة مع الثراء الفاحش الذى أصاب البعض دون الآخر، وبدأ يفعل فعله فى تفجير الأطر القبلية القديمة، ولم تعد مواصفات الزعيم كما كانت فى الماضى العشائرى، من حكمة تؤهله كى تكون رأسًا للقبيلة، أو حنكة أو شجاعة، أحيانا حسب ظروف القبيلة إن سلما أو حربا، بل تولى الأمر بعد تشكل الطبقة الأرسنقراطية المتميزة، وتغير المعيار، وتبدل أساليب القياس، وهو ما عبر عنه استطراد الآيات (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه) وهى الأحقية التى يأتى معيارها القياسى واضحا فى الإلحاق التوضيحي (ولم يؤت سعة من المال)^{٢٦}

ولقد أوضحت الآيات أن الله عز وجل هو الذى يؤتى ملكه من يشاء (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)^{٢٧} ، وهو الرد نفسه الذى تكرر فى غير موضع من القرآن الكريم .عندما كان نثار الاعتراضات على استحقاق محمد صلى الله عليه وآله وسلم للنبوته كما فى قوله تعالى (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي

٢٥ - البقرة : ٢٤٦

٢٦ - حروب دولة الرسول : سيد القمنى ، مكتبة مدبولى ، ط٢ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ٤٨/١

٢٧ - البقرة: ٢٤٧

منهج التعميط في الدراسات القرآنية دراسة نقدية

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ^{٢٨}

ويرى سيد القمنى فى قوله تعالى (قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) تماثلا مع لسان حال المهاجرين الذين اضطرتهم أهل مكة لترك ديارهم وأبنائهم، بل "إن التوراة لا تقول بخروج بنى إسرائيل من ديارهم وأبنائهم حينذاك بل كانوا - حسب روايتها - مهاجرين لا مدافعين، محتلين وغاصبين ، وهذه روايتها، وإثمها مردود عليها فى المخالفة، لكن ما نعلمه يقينا، أن الذين أخرجوا من ديارهم مهاجرين، وتركوا أبناءهم واللوعة من أهل مكة تعتمل فى نفوسهم هم المسلمون المهاجرون إلى يثرب، وبالطبع كان لابد أن تفعل تلك الآيات فى نفوسهم فعلا وأثرها"^{٢٩}

وفى الجملة يرى القمنى أن ما ذكرته الآيات عن طالوت وجالوت لا يتطابق مع أحداث بنى إسرائيل كما ذكرتها التوراة بقدر ما يتطابق مع ما حدث فى غزوة بدر، فرواية التوراة تختلف مرة أخرى عن رواية القرآن الكريم "حيث كان ائتلاف القبائل الإسرائيلية فى مملكة واحدة تشكيلا هائلا وتجييشا لعدد ضخم من المقاتلين، ومن ثم يكون تطابق الآيات ليس مع التاريخ التوراتى كما ترويه التوراة ، لكن مع واقع المسلمين والمشركين، حيث المشركون هم الأكثرية، والمؤمنون هم الأقلية، لكن الحضور الإلهى إلى جانب الحق كان كفيلا بحسم الموقف، فالآيات تستطرد (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)^{٣٠} "٣١ .

وتعد دراسة حسن عبود عن (السيدة مريم فى القرآن الكريم)^{٣٢} من أكبر الدراسات التى استخدمت المنهج التعميطى (التيبولوجى) فى تفسير الآيات المتعلقة بمريم - عليها السلام - فى القرآن الكريم، وقد اعتمدت حسن عبود فى دراستها - كما ذكرت - على " الدراسات

٢٨ - الزخرف : ٣١-٣٢

٢٩ - حروب دولة الرسول ١/٤٩

٣٠ - البقرة : ٢٤٩

٣١ - حروب دولة الرسول ١/٤٩

٣٢ - السيدة مريم فى القرآن الكريم قراءة أدبية : حسن عبود ، دار الساقى ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠م، والكتاب فى الأصل أطروحة دكتوراه بالإنجليزية قامت الباحثة بترجمتها إلى العربية

الرائدة التي قام بها الناقد الأدبي الكبير نورثروب فراى حول التابولوجيا (كذا) أى علم الأنواع والنماذج فى كتابيه الرائدتين الكتاب المقدس والأدب ، و كلمات ذات قوة^{٣٣} .

كما اعتمدت حسن عبود كما ذكرت على "دراسة كارل ج يونغ عن الطرازات البدئية (الأرخيتايب) (كذا) وهى أنساق عميقة لا واعية لدى الإنسان، وتحليله لطرز الأم (أرخيتايب الأم) لها صلة وثيقة بالموضوع الذى يتعلق بالأمومى على مستوى باطن النص"^{٣٤} .

كذلك تشير حسن عبود إلى ما لدراسة خلف الله عن الفن القصصى فى القرآن لا سيما ما يتعلق بالجانب الأسطورى منها^{٣٥} .

اعتمدت حسن عبود على الدراسات التيبولوجية السابقة وغيرها لتصل فى النهاية إلى أن " القرآن فى أحد استخداماته وتوظيفاته لمعاناة مريم مع بنى قومها يقيس فى ذلك وضع النبى محمد صلى الله عليه وسلم على وضعها ، ويخرج من ذلك إلى أن النبى محمدا سيخرج بتوفيق الله كما خرجت مريم طاهرة الذيل قدسية، فالحضور المريمى فى أحد وجوهه هو حضور محمدى"^{٣٦} .

بعد أن فرغنا من عرض أبرز الدراسات التى استخدمت منهج التتميط فى الدراسات القرآنية ننقل لتقييم المنهج وأبرز النتائج التى توصل إليها فى تطبيقاته على القرآن الكريم.

^{٣٣} - السابق ص ٢٥ وقد قدمت حسن عبود كذلك الشكر لفراى فى ص ٧

^{٣٤} - السابق ص ٢٥

^{٣٥} - السابق ص ٢٦

^{٣٦} - السابق ص ١٥ ، ١٦

من خلال ما تم عرضه نستطيع أن نذكر بعض الملاحظات النقدية حول منهج الترميط (التيولوجى) وتطبيقاته فى دراسة القرآن الكريم.

وهى ثلاث ملاحظات الأولى تتعلق بمنطلقات المنهج

والثانية تتعلق بإجراءات المنهج

والثالثة تتعلق بنتائج المنهج

الملاحظة الأولى حول منطلقات المنهج :

انطلق المنهج التيولوجى فى دراسات الكتاب المقدس من قاعدة فى فهم الوحى الكتابى تختلف اختلافا جذريا عن مفهوم الوحى فى الإسلام، فبالرغم من أن الكتاب المقدس - فى الدراسات الكتابية - هو كلمة الله، فإنه - بحسب المنظور الكتابى للوحى - قد تم تدوينه بتعبير خاص صدر عن كتابه المختلفين، وتتمثل فى صياغته اللغوية كل ما تشتمل عليه لغات كتابه من سمات خاصة بهم، لهذا فإذا جاز لنا التسليم بتطبيق نظرية النماذج البدئية عند يونج ، أو النظام اللغوى عند فراى باعتبار أن لغة الكتاب المقدس هى لغة بشرية يمكن التعامل معها من خلال تلك الإجراءات، نقول إذا جاز التسليم بذلك فى تفسير الكتاب المقدس فإنه لا يمكن بحال من الأحوال التسليم به فى تفسير القرآن الكريم، ذلك لأن مفهوم الوحى فى الدراسات القرآنية يجعل من اللغة القرآنية لغة موحى بها بنصها وليست من عند الرسول أو من الكتابة أو من أى عنصر بشرى آخر، لذلك فلا يستقيم القول بالنماذج البدئية ولا النظام اللغوى كما ذهب إليه فراى فى التعامل مع لغة القرآن الكريم. كما لا يستقيم الحديث عن حضور "قصة مريم فى الوعى القرآنى"^{٣٧}.

الملاحظة الثانية حول إجراءات المنهج :

التكلف الشديد فى الربط بين ما يسمى أنماطا أو طرزا أو نماذج وما فيه من عدم منهجية واضحة فى الربط بين الأنماط ، ويمكننا أن نمثل لذلك بقول حسن عبود فى دراستها عن

^{٣٧} - السيدة مريم فى القرآن الكريم، ص ١٥

مريم عليها السلام : " هى الرابط الكبير الذى يربط المسيحية بالإسلام لكونها حملت (الكلمة) كما حمل النبي محمد صلى الله عليه وسلم (القرآن) " !! .

سعت حسن عبود لإقامة علاقة تمييزية بين مريم - عليها السلام - ومحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - لكن إجراءات هذا التمييز يشوبها خلل واضح نبع من خلط المجاز بالحقيقة وعدم إقامة حدود فاصلة بينهما. حيث استخدمت - أولاً - كلمة (حمل) التى هى حقيقة فى حق مريم بطريقة ترادفية مع كلمة (حمل) التى هى مجاز فى حق محمد ، ثم أعادت هذا الخلط بين الحقيقة والمجاز - ثانياً - لتجعل المسيح والقرآن يتساويان من حيث كونهما كلمة الله، دون أدنى تفرقة بين الطبيعة المجازية لكون المسيح عليه السلام كلمة الله بالمعنى المجازى، أى مسببا عن كلمة الله أو الأمر الإلهى بخلقه دون أب، بينما القرآن كلمة الله بالمعنى الحقيقى .

ونذكر مثالا آخر على هذا الخلط الإجرائى والتكلف الواضح فى الربط بين الأنماط من خلال دراسة ميشيل كويپرس M. Cuypers عن سورة المائدة حيث اكتشف كما يذكر " نموذجاً لهذه التيبولوجيا بين موسى وهو يقود قومه إلى الأرض المقدسة وبين محمد المسئول عن حج المسلمين إلى البيت الحرام. وتشابه الأدوار هنا واضح عند قراءة نص القرآن، ولكن عندما مضينا قدما فى المقارنة التناسلية وجدنا الرسالة إلى العبرانيين التى تقدم عيسى قائداً شعب الله الجديد إلى راحة الخلاص. فبالتالى يبدو محمد فى القرآن على أنه إتمام للشخصين موسى وعيسى مؤسسى الديانتين المنافستين السابقين للإسلام . وفى بعض النصوص الأخرى يرى شخص عيسى من خلف شخص محمد: فكما يرمز مسبقاً شخص هابيل إلى شخص عيسى المعذب، كذلك يرمز إلى محمد كل من عيسى وهابيل، اثنين من المعذبين الأبرياء. وخلف محمد جالب النور لأولئك القابعين فى الظلام نستشف ملامح المسيح الذى ينبئ به نشيد زكريا وفى النهاية فإن إعطاء عيسى حواريه المائدة النازلة من السماء يشير إلى تسليم محمد كلام الله المنزل من السماء . وفى السورة بعض الحقائق المقدسة الأخرى التى يمكن قراءتها على هذا النحو: حيث ترمز الأرض المقدسة إلى البيت الحرام كما قلنا فى ما سبق ، وكذا فإن عيد الفصح المسيحى (الذى كان يرمز إليه أساساً عيد الفصح اليهودى) يمثل إشارة إلى الحج السنوى عند المسلمين، وترمز أيضاً منحة المائدة

منهج الترميم في الدراسات القرآنية دراسة نقدية

إلى كلام الله المتمثل في القرآن، ويمثل عصاة قوم موسى اليهود الذين رفضوا أن يدخلوا الإسلام، ونرى ملامح قابيل خلف المتأمرين على محمد.

وبالطبع فإن الإشارات الرمزية هذه ليست تطابقاً ولكنها تماثل يتضمن كلا من أوجه الشبه وأوجه الاختلاف فهي ليست اعتباطية : حيث إن التوافق بين المفردات والبنى ينبه لما بين الرموز من تناغم على الأقل عند من لديهم القدرة على قراءة النص مع الإصغاء إلى كل أشكال التناغم الصادرة عنه^{٣٨}.

ومن العسير جداً على من يقرأ هذا النموذج التيبولوجي الذي قدمه كويبرس أن يجد علاقة واضحة تقوم على أسس ثابتة بين هذه العناصر المتباعدة وإن كانت لا تخلو من بعض جوانب التشابه فيما بينها.

الملاحظة الثالثة حول نتائج المنهج :

انتهى المنهج الترميمي إلى ضرورة القول بعدم الصدق التاريخي في الكتاب المقدس، وانتهى إلى النتيجة ذاتها فيما يتعلق بالقرآن الكريم كما رأينا عند خلف الله وغيره ، ولا نريد أن نناقش الصحة التاريخية للكتاب المقدس لأنه يخرج عن نطاق البحث، لكن نتوقف عند ما ذهب إليه أصحاب المنهج التيبولوجي من القول بانتفاء الصحة التاريخية للقرآن الكريم، فقد تبنى خلف الله القول بأن القرآن لا يحرص على الالتزام بالحقيقة التاريخية لأن الأساس في قصصه أنها من قبيل الفن الذي يطالب بذكر حقائق التاريخ. وعلى هذا فالقيمة التاريخية ليست مما حماه القرآن الكريم ما دام لم يقصده^{٣٩}.

وقد حاول خلف الله أن يدعم رأيه بكل دليل ، وكان من تلك الأدلة التي ارتأها مدعماً لمخالفة القرآن للحقائق التاريخية قوله تعالى (وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ أَلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)^{٤٠} إذ بان - على حد قوله - " للعقل الإسلامي أن ودا وسوعا ويغوث ويعوق ونسرا كانت الأوثان التي تعبد في الجزيرة العربية زمن البعثة المحمدية،

^{٣٨} - في نظم سورة المائدة : ميشيل كويبرس، ترجمة عمرو عبد العاطي صالح ، دار المشرق ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٦م ، ص ٤٨٣

^{٣٩} - السابق ص ٤٤

٤٠ - نوح : ٢٣

د / عماد حسن مرزوق

وقبلها بقليل أو كثير، وعجز العقل الإسلامي عن أن يفهم الصلة بين هذه الأوثان وبين نوح عليه السلام حتى تجيء في قصته، ولذا عد هذه المسألة من المشكلات.^{٤١}

ثم نقل خلف الله كلاما للرازي في الآية يؤيد به ما ذهب إليه.

وإذا كنا نوافق خلف الله في القول بأن القصة القرآنية لا تهدف إلى التأريخ في حد ذاته فإننا لا نوافق من القول بمخالفة القرآن للتاريخ بل نؤكد على أن كل ما جاء في القرآن جاء موافقا للحقائق التاريخية ولا يختلف معها في شيء .

وقد تولى الرد على ما طرحه خلف الله في هذه النقطة كثير من الدراسات التي صدرت عقب صدور دراسة خلف الله عام ١٩٤٧م وحتى يومنا هذا^{٤٢}. ولا نريد أن نكرر هنا الأدلة التي قيلت في الرد على قضية الصدق التاريخي للقرآن ولكن نقدم طرحا جديدا لمناقشة تلك القضية بصفة خاصة وما يستتبع ذلك من مناقشة منهج التتميط بصفة عامة، ويتمثل هذا الطرح الجديد فيما يمكن تسميته (السياقات المتشابهة).

^{٤١} - الفن القصصي في القرآن : مرجع سابق ص ٣٥-٣٦

^{٤٢} - انظر على سبيل المثال : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف: عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، د.ت

لما كان القرآن الكريم قد نزل من أجل الواقع وأحداثه، وليس من أجل التاريخ أو التفنن الأدبى كان القصص القرآنى عبرة وموعظة ومثلاً. كما يشير إليه قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ)^٣ وقوله تعالى (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)^٤ ، وقوله تعالى (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ)^٥ .

لقد ذهب جمهور المفسرين إلى تناول القصة القرآنية بصورة مستقلة منشغلين بتفاصيلها عن علاقتها بالواقع الذى نزلت فيها وكما يقول الرازى " الحكايات أكثرها إنما تكون لمقاصد لكنها تنسى لطيب الحكاية ولهذا كثيراً ما يقول الحاكى لأى شىء حكيت هذه الحكاية"^٦، وانحصرت العبر والمثل والموعظة والذكرى عند بعض المفسرين فى القيم العامة التى اشتملت عليها القصة كالدعوة إلى الله، وتكذيب الكافرين، وعاقبة هذا التكذيب، ونحو ذلك من الملامح العامة التى تمثل ركائز عامة وثابتة فى تاريخ الرسل وأمهم، وما فى ذلك من عظات تتعلق بقضايا الإيمان والكفر بصفة عامة.

لكن قلما توقف المفسرون أمام العلاقة بين القصة القرآنية وواقع الأحداث التى نزلت فيه، بالرغم من أنه يكاد يكون من البديهيات أن القرآن كله - بما فيه من قصص - لا بد أن يكون ذا صلة وثيقة بالواقع الذى نزل فيه، وعلى ذلك فلم يكن ذكر القصة القرآنية بغرض التأريخ للأمم السابقة أو لملء أوقات الفراغ أو نحو ذلك، وإنما ذكرت لهدف رئيس هو التعبير عن الواقع الذى نزلت فيه، ومعالجة أحداثه ووقائعه . إن كل ما أورده القرآن الكريم من قصص هو حقائق لا شك فيها، لكن هذا الصدق التاريخى للقصص القرآنى لا يعنى فى الوقت نفسه أن القرآن قد أورد تلك القصص بهدف التأريخ للسابقين . وإنما جاءت القصة القرآنية سياقاً يحاكى الواقع الذى يعيشه المجتمع وقت نزول القرآن الكريم ، وهذا ما يفسر لنا

٤٣ - يوسف : ١١١

٤٤ - النور : ٣٤

٤٥ - هود : ١٢٠

٤٦ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : فخر الدين الرازى ، تحقيق عماد زكى البارودى ، المكتبة التوفيقية ، ٤٠/٢٥

تجاهل قصص القرآن لكثير من التفاصيل مما ليس له ارتباط بالواقع ، وذكر القرآن لأجزاء بعينها من القصة فى موضع وذكر أجزاء أخرى من القصة ذاتها فى موضع آخر وذلك بحسب مناسبة ورود القصة للأحداث والوقائع التى كان يعيشها المجتمع وقت نزول القرآن .

من هنا نقسم السياقات المتشابهة إلى ثلاثة أقسام

الأول : سياق القصة التى يوردها القرآن الكريم ونسميه (السياق الأصيلي)

الثانى : سياق واقع عصر نزول القرآن الكريم ونسميه (السياق الواقعي)

الثالث : هو السياق الممتد فى الزمان والمكان بعد انقضاء عصر النزول ونطلق عليه (السياق الممتد). لكن هذا السياق سياق معيش وليس سياق لغوي وإن كان يتشابه مع السياق اللغوي، بحيث نستطيع القول إن السياق الأصيلي والسياق الواقعي يعبران فى كثير من الأحيان عن السياق الممتد.

ونلاحظ أن السياق الأصيلي والسياق الواقعي يردان فى القرآن الكريم بأسلوبين مختلفين الأسلوب الأول : التوازي ، حيث نجد أن موضع السياق الأصيلي يرد فى القرآن الكريم بعيدا عن موضع السياق الواقعي المشابه له.

الأسلوب الثانى : التداخل، حيث يتداخل السياقان ، ويلتقيان فى بعض النقاط.

على ضوء ما تقدم لا نرى أن الإشكال الذى طرحه خلف الله واستشهد عليه بكلام الرازي يفضى بالضرورة إلى مخالفة القرآن للتاريخ، إذ يمكن أن نرى فى الآية تداخلا سياقيا بين السياق الأصيلي المتمثل فى قوم نوح عليه السلام ، والسياق المشابه المتمثل فى العرب وقت البعثة المحمدية، مما يعنى أنه ليس بالضرورة أن ينفى أحد النموذجين الآخر، فلا يتحتم القول إن هذه الأصنام إما أن تكون على عهد نوح عليه السلام وإما أن تكون على عهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل يمكن القول إن قصة نوح عليه السلام مع قومه تداخلت مع سياق قصة محمد مع قومه، وقد التقى السياقان حول تلك الأصنام التى كانت معبودات لقوم نوح ومعبودات للعرب كذلك، وحتى لو كان من المستبعد أن تكون تلك الأصنام هى بأسمائها ما عبد على عهد نوح فإن ذلك - فى ضوء تداخل السياقات المتشابهة - لا يعد مخالفة تاريخية.

منهج التعميط في الدراسات القرآنية دراسة نقدية

وقريب من هذا الإشكال ما يذكر في قوله تعالى (وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)^{٤٧} فالدراهم كانت مستعملة عند العرب وقت ظهور الإسلام فهل كانت مستعملة في عصر يوسف عليه السلام؟ قد يجد البعض في هذا إشكالا تاريخيا لاسيما أن سورة يوسف نفسها قد ذكرت في قوله تعالى (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)^{٤٨} أن النظام المتبع في هذا العصر هو المقايضة، لكن على ضوء فكرة (تداخل السياقات المتشابهة) يمكن أن نفهم هذه الجملة الاعتراضية (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) كقرينة على تداخل السياقات بين السياق الأصلي المتمثل في يوسف عليه السلام والسياق الواقعي المتمثل في محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإخوة يوسف الذين باعوه يشبهون قوم محمد الذين صدوا عنه وأذوه . وكما أظهر الله عز وجل يوسف عليه السلام على إخوته، أظهر الله عز وجل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قومه، وكما رد يوسف عليه السلام إلى أبيه ، رد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة يوم الفتح ، وكما عفا يوسف عليه السلام عن إخوته قائلا (لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)^{٤٩} ، عفا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قومه يوم الفتح فقال كما جاء في السيرة "يا معشر قريش ما ترون أنني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: (لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ) اذهبوا فأنتم الطلقاء"^{٥٠}.

والقرآن الكريم يعتمد على (تداخل السياقات المتشابهة) حتى في غير القصص، فالقرآن يستحث المسلمين في المدينة على القتال في غزوة تبوك فيذكر في معرض ذلك هجرة الرسول من مكة، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَجْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

^{٤٧} - يوسف : ٢٠

^{٤٨} - يوسف : ٨٨

^{٤٩} - يوسف : ٩٢

^{٥٠} - الرحيق المختوم : صفى الرحمن المباركفوري ، دار الوفاء ، ٢٥ / ١٤ هـ - ٢٠٠٤ م ، ص ٣٤٨

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^{٥١} [التوبة ٣٨ - ٤١] .

وفي أثناء ذكر غزوة أحد أو الخندق - على خلاف بين المفسرين - يذكر القرآن بعض أحداث غزوة بدر، قال تعالى (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّفَقُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)^{٥٢} .

وإذا كان التداخل في السياقات ظاهرة واقعة في غير القصص، ففوقها في القصص أُلزم لأن القصة لا تأتي في القرآن إلا لارتباطها بأحداث الواقع وقضاياها.

إن التشابه بين سياق قصة نوح عليه السلام وقومه والسياق الموازي المتمثل في محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقومه يظهر في سورة هود في قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَيْمِ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَيْهِمْ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مِمَّا هُمْ كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ

٥١ - التوبة : ٣٨ - ٤١

٥٢ - آل عمران: ١٢١-١٢٨

منهج الترميط في الدراسات القرآنية دراسة نقدية

يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرَ اللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ^{٥٣}

وتكاد قصة نوح عليه السلام تتماثل في معظم تفاصيلها مع ما هو معروف من أحداث السيرة النبوية لاسيما في العصر المكي من إعراض الملائة أصحاب المال والسيادة عن دعوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واستنكارهم أن يدخلوا فيما دخل فيه المستضعفون في مكة، وقد بلغ هذا التشابه بين السياقين ذروته في قوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ)^{٥٤} حيث تداخل السياق الأصلي مع السياق الواقعي بحيث جاءت الآية الكريمة في سياق قصة نوح عليه السلام في الوقت التي تعبر فيه عن جزء من السياق المشابه، سياق المجتمع المكي.

يقول السعدى " (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) هذا الضمير محتمل أن يعود إلى نوح، كما كان السياق في قصته مع قومه، وأن المعنى: أن قومه يقولون: افتري على الله كذبا، وكذب بالوحي الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول (قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) أي : كل عليه وزره (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)، ويحتمل أن يكون عائدا إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتكون هذه الآية معترضة، في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء، فلما شرع الله في قصتها على رسوله، وكانت من جملة الآيات الدالة على صدقه ورسالته، ذكر تكذيب قومه له مع البيان التام فقال (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أي: هذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه، أي : فهذا من أعجب الأقوال وأبطلها، فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب، ولم يرحل عنهم دراسة على أهل الكتاب، فجاء بهذا الكتاب الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله. فإذا زعموا - مع هذا - أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في حجاجهم، بل اللائق

^{٥٣} - هود : ٢٥ - ٣٦

^{٥٤} - هود : ٢٥

في هذه الحال، الإعراض عنهم، ولهذا قال (قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّْ إِجْرَامِي) أي: ذنبي وكذبي، (وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) أي: فلم تستلجون في تكذبي.^{٥٥}

والوقوف على هذا التداخل السياقي بين قصة نوح عليه السلام وقصة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يجعل لكل من الشخصيتين وجودا وتاريخا حقيقيا خلافا لما يذهب إليه أصحاب منهج التتميط، ولا يتعارض هذا مع القول بأن شخصية نوح عليه السلام في القرآن تحيل إلى شخصية محمد صلى الله عليه وآله وسلم على النحو الذي ذكره يوهانس جانسن كما مر.

إن هذا التداخل بين السياق الأصلي والسياق المشابه يتكرر في مواضع أخرى من القرآن الكريم كقوله تعالى (وَأِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُوْتَانَا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)^{٥٦} ، فقوله تعالى (وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ

^{٥٥} - تفسير السعدي : عبد الرحمن ناصر السعدي ، تحقيق السيد بن أحمد سيف، مكتبة الإيمان ،

منهج التنميط في الدراسات القرآنية دراسة نقدية

يَسُئِرُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأَوْلِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) جاء في سياق قصة إبراهيم عليه السلام وخطابه لقومه وتكذيبهم له، وهو تصوير للحال التي كان عليها محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه، لذلك نستطيع القول إن الآيات جمعت بين سياق قصة إبراهيم عليه السلام وسياق دعوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قومه، يقول الزمخشري " وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم صلوات الله عليه لقومه، وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها، فإن قلت: إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد بالأمر قبله؟ قلت: قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم، وكفى بقوم نوح أمة في معنى أم جمة مكذبة، ولقد عاش إدريس ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء. وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنه، وأعقابهم على التكذيب. فإن قلت: فما تصنع بقوله (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ)؟ قلت: هي حكاية كلام حكاة إبراهيم عليه السلام لقومه، كما يحكى رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهج في أكثر القرآن فإن قلت: فإذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطهما بين طرفي قصة إبراهيم والجملة؟ أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه؟ ألا تراك لا تقول: مكة- وزيد أبوه قائم- خير بلاد الله؟ قلت: إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوناً بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان، فاعترض بقوله: (وإن تكذبوا) على معنى إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها، لأن قوله (فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) لا بد من تناوله لأمة إبراهيم، وهو كما ترى اعتراض واقع متصل، ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها، لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله، وهدم الشرك وتوهين قواعده، وصفة قدرة الله وسلطانه، ووضوح حجته وبرهانه.^{٥٧}

وينفق الرازي مع الزمخشري في أن الآيات يجوز حملها على قوم إبراهيم عليه السلام،

^{٥٧} - الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ٣/٢٠١

كما يجوز أن تحمل على قوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يقول الرازي " لما فرغ من بيان التوحيد أتى بعده بالتهديد فقال (وإن تكذبوا). وفي المخاطب في هذه الآية وجهان : أحدهما: أنه قوم إبراهيم والآية حكاية عن قوم إبراهيم كأن إبراهيم قال لقومه (إن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) وأنا أتيت بما علي من التبليغ فإن الرسول ليس عليه إلا البلاغ والبيان، والثاني: أنه خطاب مع قوم محمد عليه السلام. ووجهه أن الحكايات أكثرها إنما تكون لمقاصد لكنها تنسى لطيب الحكاية ولهذا كثيرا ما يقول الحاكي لأي شيء حكيت هذه الحكاية فالنبي عليه السلام كان مقصوده تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من التكذيب ويرتدعوا خوفا من التعذيب، فقال في أثناء حكايتهم يا قوم إن تكذبوا فقد كذب قبلكم أقوام وأهلكوا فإن كذبتم أخاف عليكم ما جاء على غيركم"^{٥٨}.

إن ما ذهب إليه الزمخشري والرازي والسعدى يؤكد على فكرة تداخل السياقات المتشابهة في القصة القرآنية .

وإننا لنجد كذلك في قصة طالوت المذكورة في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)^{٥٩} تشابها مع ذلك السياق الواقعي المشابه المذكور في قوله تعالى (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَعْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأُمْرُ فَلَوَّ صَدَفُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)^{٦٠} وهكذا فإن الوقوف على السياقات المتشابهة يجنبنا الوقوع في النتائج التي انتهى إليها سيد القمني عند عرضه لقصة طالوت اعتمادا على منهج التتميط.

^{٥٨} - مفاتيح الغيب : الرازي ٤٠/٢٥

^{٥٩} - البقرة : ٢٤٦

^{٦٠} - محمد : ٢٣-٢٠

القرآن الكريم حمال ذو وجوه، ومن ثم كانت الحاجة إلى المناهج المتنوعة لدراسته، غير أن بعض تلك المناهج لا يتلاءم مع خصوصية القرآن الكريم، وقد حاول البحث الوقوف على منهج التتميط بوصفه أحد المناهج المتبعة حديثاً فى دراسة القرآن الكريم، وقد خلص البحث إلى النتائج التالية:

أولاً: يعد منهج التتميط - وإن كان ذا جذور تاريخية قديمة فى الفكر الغربى - أحد المناهج المتبعة حديثاً فى دراسة القرآن الكريم، وقد تتبع البحث نشأة المنهج وتطوره وتطبيقات هذا المنهج فى الدراسات القرآنية الحديثة المختلفة، ويشير البحث بذلك السؤال عن جدوى استيراد بعض المناهج الغربية الحديثة لدراسة القرآن الكريم.

ثانياً: رصد البحث الخلل فى تطبيق منهج التتميط فى دراسة القرآن الكريم، وقد تمثل هذا الخلل فى ثلاثة محاور يتعلق الأول منها بمنطلقات المنهج الذى يقوم على دعوى بشرية القرآن الكريم، ويتعلق الثانى بإجراءات المنهج المتمثل فى التكلف الشديد فى إقامة علاقات تتميطية، ويتعلق الخلل الثالث بالنتيجة التى أفضى إليها المنهج وهى القول بعدم الصدق التاريخى للقرآن الكريم.

ثالثاً: اقترح البحث الاعتماد على فكرة (السياقات المتشابهة) لتوافقها مع طبيعة الوحي القرآنى إذ إن السياقات المتشابهة تتلاءم مع المصدر الإلهى للقرآن خلافاً لفكرة النماذج البدئية عند يونج، أو الأنماط عند فراى، أو الموتيفات عند حسن عبود، التى يجعل منهج التتميط مصدرها العنصر البشرى.

من جهة أخرى فإن فكرة (السياقات المتشابهة) سيجنبنا التكلف فى إنشاء العلاقات بين ما يطلقون عليه أنماطاً أو طرزاً أو نماذج، فبالرغم من وجود تشابه بين كثير من أحداث القرآن الكريم وشخصياته فإن ذلك ليس مرجعه لكونها طرزاً متماثلة، بل مرجعه لاتحاد الغاية والمقصد الذى يهدف إليه العرض القرآنى لتلك الأحداث والشخصيات من خلال السياقات المتشابهة التى فيها من عناصر التشابه بالقدر الذى فيها من عناصر الاختلاف.

كذلك فإن فكرة (السياقات المتشابهة) تفسر إثبات الوجود التاريخى للشخصيات والأحداث، خلافاً لمنهج التتميط، وإذا جاز لنا أن نقول إن شخصية ما أو حدثاً ما فى القرآن الكريم يمثل شخصية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقومه أو بعض أحداث عصره، فإن هذا لا يعنى القول بأن هذه الشخصية هى شخصية محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفسها، ومن ثم محو الجانب التاريخى الواقعى لتلك الشخصيات الأخرى كما يقول بذلك أصحاب منهج التتميط، بل تظل من خلال (السياقات المتشابهة) لكل شخصية خصوصيتها، وتاريخها الحقيقى، ووجودها المستقل.

المصادر والمراجع

- تفسير السعدى : عبد الرحمن ناصر السعدى، تحقيق السيد بن أحمد سيف، مكتبة الإيمان.
- تفسير القرآن فى مصر الحديثة : يوهانس جانسن، ترجمة وتعليق حازم زكريا محيى الدين، مؤمنون بلا حدود، المغرب، ط ١، ٢٠١٧م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : فخر الدين الرازى، تحقيق عماد زكى البارودى، المكتبة التوفيقية .
- تفسير الكتاب المقدس عند الآباء : د. جورج عوض إبراهيم، جى سى سنتر، القاهرة ، ط ١، ٢٠١٢م .
- تفسير الكتاب المقدس فى أبعاده المتعددة : غرانت ر. أوزبورن ، ترجمة نزيه خاطر ، دار منهل الحياة، لبنان، ط ١، ٢٠١٤م .
- تبيولوجيا القرآن من خلال جواهر القرآن للغزالي : محمد بو هلال، بحث ألقى فى ملتقى الدراسات القرآنية المناهج والسياقات والرهانات، المنعقد فى المجمع التونسى للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) فى الفترة من ٤ إلى ٦ يوليه ٢٠١٧م .
- جواهر القرآن ودرره : محمد بن محمد الغزالي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٦، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- حروب دولة الرسول : سيد القمنى ، مكتبة مدبولى ، ط ٢، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- الدين فى ضوء علم النفس : كارل جوستاف يونج ، ترجمة وتقديم ، نهاد خياطة ، دار العلم، مكتب الفيحاء ، دمشق ، ط ١، ١٩٨٨م .
- الرحيق المختوم : صفى الرحمن المباركفورى ، دار الوفاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- السيدة مريم فى القرآن الكريم قراءة أدبية : حسن عبود، دار الساقى، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م .
- الفن القصصى فى القرآن : د . محمد أحمد خلف الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٥٧ .
- فى نظم سورة المائدة : ميشيل كويبرس، ترجمة عمرو عبد العاطى صالح ، دار المشرق ، بيروت ، ط ١، ٢٠١٦م .
- القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتى آدم ويوسف : عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربى ، ط ١ .
- الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : جار الله الزمخشري ، دار الفكر، بيروت .
- المدونة الكبرى الكتاب المقدس والأدب : نورثروب فراى ، ترجمة سعيد الغانمى، كلمة و منشورات الجمل ، أبو ظبى و بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م
- منهج التعرف على الإسلام : د. على شريعتى ، ترجمة عادل كاظم ، دار الأمير ، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م .

The method of typology in the Quranic studies.
Critical study

Dr : Emad Hassan Marzouk
Assistant Lecturer of Islamic studies.
Faculty of Literature – Al monofiya University.

Abstract

The method of typology starts connected to the researches which tried to study the Bible because the typology was seen as one of the methods of interpretation and afterwards many researchers knew its value has been achieved in different fields of other human sciences like sociology, psychology and literary criticism.

Although we find there is substantial different between the Bible and the Holy Quran , we notice that the method is used in some of the Quranic studies.

The study aims to displaying the method of typology and tries to discuss the applications in the Quranic studies through four researches ;

The first ; the origin of the typological method and its development

The second ; the applications of the method of typology in the Quranic studies.

The third ; the critical notes related to typological studies about the Holy Quran .

The fourth ; similar contexts instead of the method of typology.